Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرن الهجري السادس ، حتى تأكد تفوق المدرسة الكلامية بظهور السكاكي و « مفتاحه » الذي اعتمد في تأليفه على التحديد المنطقي ، والاستنباط العقلي ، والتعريفات الفلسفية ، هذه الطريقة التي لاقت قبولاً ورواجاً في تلك الفترة وما أعقبها ، فكان السكاكي « أول الجناة المسرفين على علم البلاغة بإخضاعه للعلوم العقلية ،فأضاع بهجته ، وأخلق ديباجته »[1] .

وفي غمرة تنازع البلاغة بين مدرستي الأدب والمنطق ، واحتضان هذه لها فترة ، واستضافة تلك فترة أخرى ، ظهرت (البديعيات) بثوبها الشعري ، مزينة بشروحها ، زاهية بمضمونها ، متلألئة بين صفحات تلك الشروح التي عمدت إلى رياض الأدب لتجني أطيب ثمارها ، وتجمع أجمل زهورها ، وتقطف من ورودها ما يبهج النفس وتقر به العين ، بل لقد لاحظنا أن الشرّاح أسرفوا في ذلك إسرافاً كبيراً إلى درجة كادت تضيع معها معالم البديعية ، وينسى الغرض الذي قامت عليه تلك الشروح ، وهو توضيح الأنواع البديعية وتحديدها ضمن القصيدة .

فالإكثار من الشواهد ـ منظومها ومنثورها ـ والبحث عن كل ما يستجاد ويُستلمح من تلك الشواهد ، والبحث عن مواطن الجمال فيها ، إنما هو من خصائص المدرسة الأدبية ، مع تعريف النوع بأقصر عبارة وأوضح أسلوب ، وبهذا تكون (البديعيات) قد انتقلت بالبديع إلى رياض الأدب وأحضان المدرسة الأدبية ، وخلصته من قيود الفلسفة والمنطق والأحكام العقلية الجافة التي سيطرت عليه وعلى البلاغة عامة عشرات السنين .

وحسبك ما في شروح (البديعيات) ـ والمطول منها خاصة ـ من شواهد وأمثلة تقيد هذا الرأي بسلاسل الصدق والتأكيد .

* * *

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٢٥٣ .